

(الرها - عيذاب - تونس)

أقصى حدود التوسعات الصليبية

خلال المرحلة ما بين عامي ١٠٩٧م - ١٢٩١م

(الرها - عيذاب - تونس)

أقصى حدود التوسعات الصليبية

خلال المرحلة ما بين عامي ١٠٩٧م - ١٢٩١م

نتناول في الصفحات التالية التوسعات الصليبية في أقصى مدى لها وهي التي شملت الرها، وعيذاب، وتونس على نحو شكّل مثلثاً جغرافياً على جانب كبير من الأهمية الإستراتيجية خلال المرحلة الواقعة ما بين عامي ١٠٩٧م، ١٢٩١م، أى على ما زاد عن قرنين من الزمان.

والواقع، أن المتأمل لتاريخ الغزو الصليبي لبلاد الشام والجزيرة، في أخرى القرن ١١م،، يلاحظ أن الصليبيين أقاموا عدة كيانات سياسية في صورة إمارة الرها^(١) Edessa عام ١٠٩٧م، وأنطاكية^(٢) Antioch عام ١٠٩٨م، وبيت المقدس^(٣) Jerusalem عام ١٠٩٩م، وصارت مركزاً للمملكة الصليبية، ثم إمارة طرابلس^(٤) Tripolis عام ١١٠٩م، وذلك على مدى ١٢ عاماً فقط من تاريخ الحركة الصليبية المبكر في المنطقة، وكانت أبعد نقطة في ذلك الكيان صوب الشرق هي الرها، وقد شكّلت رأس البلطة الصليبية التي تمثلت في الساحل الشامي وسهله.

وطوال القرن الثاني عشر م، ظل الوجود الصليبي متمثلاً في الإمارة المذكورة، إلى أن سقطت عام ١١٤٤م، دون إمكانية الخروج من "الشرنقة الشامية"، إلا أنه خلال عهد الملك عموري Amalric (١١٦٣ - ١١٧٤م) حاول التوسّع صوب مصر الفاطمية من خلال حملات ثلاث على مدى أعوام ١١٦٤م، ١١٦٧م، ١١٦٩م، دون جدوى بعد أن صدّه في سبيل تحقيق هدفه الحلف العباسي - النوري، ومواجهة نورالدين محمود لتلك الحملات على نحو أدى في النهاية إلى إسقاط الحكم الفاطمي عام ١١٧١م من خلال عوامل داخلية وخارجية وازن بينها صلاح الدين

الأيوبي على نحو أدى إلى الإنجاز التاريخي المذكور الذي من خلاله عادت مصر بكافة إمكاناتها المادية والبشرية إلى المعسكر السني بعد طول عداء معه.

ومن بعد مرور (١١) عاماً على إسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م، وبعد (٨) أعوام من رحيل عمورى وكذلك نور الدين محمود عام ١١٧٤م، وُجدت محاولة صليبية نادرة وغير مسبوقه من أجل التوسّع جنوباً عبر البحر الأحمر من خلال مهاجمة مواقع في ضفتيه الشرقية والغربية في الحجاز ومصر، وذلك عام ١١٨٢م.

ومن بعد ذلك في القرن الثاني، وأعنى به القرن ١٣م حدثت حملة صليبية كبيرة من جانب الملكية الفرنسية في ظل أسرة "آل كاييه" من أجل التوسّع في عالم البحر المتوسط من خلال مهاجمة تونس في ظل حكم الحفصيين عام ١٢٧٠م.

ومن الأهمية بمكان رصد وتتبع ما يشبه المثلث الجغرافي المتمثل في (الرها- عيذاب- تونس) من أجل البحث في دوافع التوسعات الصليبية على مدى قرنين الحروب الصليبية (القرنان ١٢، ١٣م).

أما فيما يتصل بالرها، فنعرف أنها احتلت موقعاً جغرافياً فريداً، فقد وقعت في إقليم الجزيرة الفراتية في حفرة وادي منبسط نحو الجنوب والشرق في كفّ جبل القدس^(٥) الذي كان يُشرف على سهل ممتد نحو الجنوب حتى يتّصل بأرض حران على بعد (٣٣) كم، ويجرى نهر الفرات في جهة الشمال منها على بعد (٤٤) كم؛ وكذلك في جهة الغرب على بعد (٨٨) كم^(٦)، كما وُجد بها وبالقرب منها أنهار كدجلة وإيبلينج^(٧).

وكل ذلك يعنى أنها وقعت في منطقة تتوافر فيها مصادر المياه، على نحو سمح بنشاط زراعي وافر خاصة مع خصوبة أرضها، وانعكس ذلك بالضرورة على نشاطها الاقتصادي الحرفي والتجاري.

كما نلاحظ أن الرها وقعت على أحد الطرق التجارية الكبرى التي وصلت بين جبال أرمينيا شمالاً، وديار الشام^(٨) جنوباً، كذلك تفرّعت منها العديد من الطرق التجارية المهمة إلى مرعش، وحلب، وغيرها من الحواضر الشامية، وهكذا، فهناك من يقرر أن موقعها جعلها تسيطر على أهم الطرق التي تصل ما بين بلاد النهرين بالساحل الشامي^(٩).

ويضاف إلى ذلك كلّه، وقعت الرها على طريق الحرير^(١٠) Silk Road الدولي العابر للقارات، والذي يبدأ من شنغهاي بالصين إلى فينيسيا بإيطاليا، على نحو ضمن لها أهمية تجارية بارزة حققت من ورائها مكاسب مالية وفيرة.

وإلى جانب ذلك، وجدنا الرها تحتل أهمية دينية من خلال احتوائها على نحو (٣٠٠) بيعة ودبر، ويضاف إلى ذلك احتوائها على كنيسة عظيمة الشأن^(١١) يقال أنها احتوت على مندبل السيد المسيح الذي كان مقدساً للمسيحيين، ولذلك حرصوا على زيارتها، وهكذا، فقد وصفت بالقداسة.

ويقرر المستشرق الفرنسي البارز/ كلود كاهن (Claude Cahen)^(١٢) (١٩٩١م) ما نصّه عن الرها "هي مدينة لم تُحرّك مشاعر الناس لقلّة من يعرفها"^(١٣) وهو أمر جانبه الصواب نظراً لمكانتها الدينية الشهيرة وارتباطها بالمندبل Mandelon المذكور، وورود ذكرها في كتب الحجاج الأوروبيين حتى فيما قبل مرحلة الحروب الصليبية.

ويُضاف إلى كل ذلك تمتّعت الرها بالحصانة من خلال أسوارها المنيعة، ولا ريب في أن ذلك زاد فيما تمتّعت به من مميزات؛ فكان من الطبيعي أن يتجه إليها الصليبيون بأنظارهم، ليقيموا بها إمارة عُدّت أولى كياناتهم السياسية على أرض الشرق في أحرّيات القرن ١١م.

وقد ظلّت تلك الإمارة قائمة تقوم بدورها كمحطة إنذار مبكر للصليبيين تُرشدهم عن أية تحركات حربية إسلامية قادمة من الشرق، إلى أن سقطت على أيدي المسلمين بقيادة أتابك الموصل عماد الدين زنكى عام ١١٤٤م، وذلك نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية^(١٣) فعالة منها: ضعف شخصية حاكمها جوسلين الثاني، وانهماكه في حياة الترف والفساد، كذلك هناك تصارعها مع إمارة أنطاكية الصليبية، وهو صراع أجهد الإماراتين، خاصة إمارة الرها.

والأمر المؤكد، أن إمارة الرها دفعت ثمن موقعها الجغرافي المتميز، الذى على الرغم من عناصر القوة فيه التى أشرت إليها من قبل، إلا أنه احتوى على نقاط ضعف لا تُنكر فى صورة عدم تلقيها دعم الحجاج الأوربيين القادمين لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية فى الشرق، بالإضافة إلى إمدادات المدن التجارية الإيطالية، كذلك هناك ابتعادها عن باقى الكيان الصليبي المتمركز فى الساحل الشامى والسهل المجاور له، كما أن موقعها المذكور جعلها تتلقى أولاً الضربات العسكرية من المشرق بصورة أعنف من غيرها، ولذلك لم يكن غريباً أن أول إمارة أقامها الصليبيون عام ١٠٩٧م، هى نفسها أول إمارة سقطت فى قبضة المسلمين عام ١١٤٤م، وبالتالى، تكون الرها قد عمرت (٤٨) عاماً أى لم يصل عُمرها تاريخياً إلى نصف قرن من عمر الزمان أو ما يوصف بأنه ¼ مدة تاريخ الوجود الصليبي فى بلاد الشام والجزيرة؛ وعندما نقارنها بباقي عناصر ذلك الكيان، نجد أن إمارة أنطاكية عمّرت ما بين عامى ١٠٩٨م، ١٢٦٨م أى (١٧٠) عاماً؛ أما إمارة طرابلس فقد دامت ما بين عامى ١١٠٩م، ١٢٨٩م أى (١٨٠) عاماً، أما مملكة بيت المقدس فقد دامت ما بين عامى ١٠٩٩م، ١١٨٧م، أى (٨٩) عاماً، وانتقلت بعد ذلك لتكوّن مملكة عكا ما بين عامى ١١٩١م، ١٢٩١م أى قرن كامل من الزمان، وبالتالى، فإن إمارة الرها كانت أقصر إمارات الكيان الصليبي وجوداً.

ولا جدال في أن إمارة الرها كانت أقصى توسع صليبي نحو الشرق، ولم يحدث أن توسع الغزاة أبعد من ذلك صوب ذلك الإتجاه؛ ومن الممكن رصد وجودها على أنه أحد عناصر مثلث التوسعات الصليبية شرقاً وجنوباً وغرباً في صورة الرها، عيذاب، تونس، ومن المهم تأمل ذلك الشكل الجغرافي السياسي من أجل فهم مطامع الصليبيين لتطويع وتوسيع وجودهم في المنطقة على حساب المسلمين بطبيعة الحال، والإحتفاظ قدر استطاعتهم بمناطق توسّعهم دون افتقادها.

أما المنطقة الجنوبية في المثلث المذكور، فقد تمثلت في عيذاب الواقعة على ساحل البحر الأحمر شمال قرية حلايب على بعد (١٨) كم منها والتي تمتعت بأهمية واضحة من خلال مرور حركة الحج الإسلامي إليها كنقطة انطلاق إلى الحجاز، كذلك كانت لها مكائنها التجارية، خاصة تجارة التوابل، ومن الملاحظ ضعفها التأميني وعدم وجود قوات أيوبية بما حمايتها، خاصة أن المعركة الأصلية مع الصليبيين كانت في بلاد الشام على المستوى البري، وفي نطاق البحر المتوسط على الصعيد البحري، ولذلك كانت عيذاب هدفاً سهلاً للصليبيين.

وقد أدرك الصليبيون بجلء أهمية عيذاب في نطاق تجارة الهند، واليمن، والسودان؛ ولندع وليمالصوري **william of tyre** - وهو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية- يوضح لنا ذلك من خلال النص التالي القوي الدلالة حيث قال: "...ومهما ينقص في منطقتنا من التوابل، واللاآء، والكنوزالشرقية، والسلع الأجنبية، فإنه يُجلب إلى هنا من الهند، وسبأ، وشبه جزيرة العرب، والسودان، والحبشة وكذلك من بلاد فارس، ومن مناطق أخرى مجاورة، وتُنقل جميع هذه السلع إلى مصر العليا عن طريق البحر الأحمرالذي شكّل الطريق من تلك الشعوب إلينا، ويتم تفرغها عند مدينة عيذاب الواقعة على شاطئ ذلك البحر نفسه، وتُنقل عبر النيل من هناك إلى الإسكندرية"^(١٤).

وقد لاحظ ذلك المؤرخ الخبير أهمية عيذاب في حركة التجارة المذكورة وصلتها بميناء الإسكندرية بمكانته البارزة في عالم البحر المتوسط الزاخر بالنشاط التجارى خاصة مع وجود القوى التجارية الإيطالية ودورها فيه، مثل جنوة، وبيزا، والبندقية. وهكذا، كان الصليبيون على دراية تامة بأهمية إخضاع تلك المدينة الحيوية لسيطرتهم، وقد قاد عملية الهجوم عليها الفارس الصليبي رينودى شاتيون^(١٥) renaud de chatillon المعروف في المصادر العربية بإرناط، وفي مقدورنا تحديد الأهداف التي كانت من وراء عملياته^(١٦) في الحجاز، والتي من خلالها هاجم عيذاب على النحو التالي:

أولاً: السيطرة على التجارة في البحر الأحمر خاصة تلك الآتية عبر المحيط الهندي من الهند والشرق الأقصى مارة بعدن، ومضيق باب المندب، ولا تغفل هنا ملاحظة أن التوابل spices احتلت أهمية بارزة في تجارة ذلك العصر وحقق من يسيطر عليها أرباحاً طائلة، ونجد مثلاً واضحاً في صورة التجارة الكارمية^(١٨). ثانياً: هدف ديني بضرب المسلمين في أعز مقدساتهم بمهاجمة المدينة المنورة وتحويل طريق الحجاز الإسلامي - كما أسلفت - نحو إمارة الكرك الصليبية وتحقيق مكاسب مادية وفيرة من جراء ذلك في حالة تحققه.

ثالثاً: إظهار الدولة الأيوبية بمظهر العاجز عن حماية الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، وإضعاف وضعها السياسى في أنحاء العالم الإسلامى، وخاصة في مصر وبلاد الشام، وبالتالي توجيه لطمة قوية لمكانة مؤسسها صلاح الدين الأيوبي.

رابعاً: رفع شأن مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع^(١٩) baldwin iv (١١٧٤ - ١١٨٥م) بخوض غمار البحر الأحمر الذى لم يسبق أن قامت فيه عمليات حربية صليبية على نحو من شأنه تحقيق

مكاسب سياسية بارزة لمملكة الصليبيين في الغرب الأوروبي وبصورة سينتج عنها إظهارها بمظهر القوة السياسية الرائدة، وبالتالي يتدفق عليها أعداد كبيرة من المستوطنين الذين كانت في أشد الحاجة إليهم لمواجهة مشكلة نقص العنصر البشري التي أزلت الصليبيين.

ومن المهم هنا ملاحظة أن عملية إرناط في البحر الأحمر لم تكن فردية، بل من خلال تخطيط محكم بإشراف وتوجيه مملكة بيت المقدس الصليبية التي من المرجح أنها وضعت كافة إمكاناتها لدعمها ولضمان نجاحها كي تحقق أهدافها على نحو سيحقق مكاسب كبيرة لها في الغرب الأوروبي يدعم مكانتها هناك.

حامساً: التنفيس عن رغبة نفسية كامنة ناتجة عن عُقدة الأسر على مدى (١٦) عاماً (١١٦٠ - ١١٧٦م) تعرّض لها إرناط، وبالتالي حرّكته الرغبة في الانتقام من المسلمين بضرب أعزّ مقدّساتهم، وبالتالي لا تُفهم تلك الأحداث دون دراسة سيكولوجية الأسرى خاصة في صورة ذلك الفارس الفرنسي المعروف عنه العنف والاندفاع والتهوّر والرغبة العارمة في الانتقام، وهو أمر لاحظناه من قبل في حملته الغادرة على جزيرة قبرص cyprus عام ١١٥٥م، وهي التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية، حيث فتك بأهلها قتلاً وتشويهاً على نحو دل بجلاء على نوعية شخصيته التصادمية التي ترى دوماً أن الحل في الحرب!! .

والواقع، أن علينا الاستفادة من دراسات علم النفس فيما يتّصل بفرع علم النفس الحربي **military psychology** وعلى نحو خاص نفسية الأسرى، حيث دلّت الدراسات أن الأسير يتزايد شعوره بالمراقبة، وكذلك القلق والإكتئاب والأرق وانعدام الشعور بالفردية^(٢٠)؛ وتزايدت كافة تلك الجوانب النفسية مع شخصية بنوعية رينو دي شاتيون إتّسمت أصلاً بالقسوة والعنف والاندفاع والتهوّر، ويلاحظ هنا، أن

الأسير الذى طال أسره وعاد ليمارس نفس العمل الحربى السابق تتوافر لديه رغبة للثأر مختزنة بطول مدة أسره، وهو ما يفترض حدوثه لدى ذلك الأمير الصليبي.

ومن المهم هنا إدراك أن ذلك الفارس الصليبي عندما خرج من سجنه تصور أن المنطقة لم تتغيّر، وأنها مثلما كانت عند أسره دون ملاحظة توحيد الجبهة الإسلامية تحت راية الأيوبيين، والأمر المرجح، أن تلك العملية الحربية البحرية تم الإعداد لها بدقة وتآمر ودهاء من أجل ضمان نجاحها، ولذلك أعدّ إرناط سفناً وحشدتها بالمقاتلين الأشداء خاصة من عناصر فرسان الإيستارية **hospitallers** (فرسان المستشفى الصليبيين) وفرسان المعبد **templars** (فرسان المعبد الصليبيين)، واختار الإبحار فى البحر الأحمر مستغلاً الرياح الموسمية التى تتحرّك السفن فيه من الشمال صوب الجنوب، وقد تم نقل تلك القطع البحرية على ظهور الإبل مسافة (١٢٥ كم) بجراصة نحو (٣٠٠) من عناصر البدو-العملاء المرتزقة- وأعيد تركيبها على ساحل خليج العقبة^(٢١)، وكل ذلك يؤكد لنا حجم الجهود الكبير والآمال العريضة التى عُلقّت على تلك العملية.

لقد قسّم إرناط قواته على أساس أن تتم مهاجمة جزيرة فرعون لإحتلالها، كذلك اتجه إلى محاصرة إيلة، وسار قسم آخر جنوباً لغزو الحجاز للوصول إلى المدينة المنورة، وقد توافرت لديه معلومات دقيقة عن كافة تلك المواقع الجغرافية.

والأمر المؤكّد أن مثل تلك العملية دلّت على أن المخابرات الصليبية^(٢٢) استطاعت الحصول على معلومات كافية عن تلك المناطق المستهدفة بغض النظر عن النتيجة الختامية لذلك الأمر، وساعدها على ذلك؛ وجود ضعاف النفوس من عناصر البدو الخائنين الذين أمكن شراؤهم بالمال، وبالتالي فإنها توصف بكونها عملية مخابرات فى الأصل، وكان سلاح المعلومات فيها هو أهم الأسلحة.

بصفة عامة، هناك من يقرر أن محطات إرناط خلال تلك العملية تمثلت في خليج العقبة، ثم السواحل الشرقية للبحر الأحمر حيث تم إشعال النيران في السفن الراقية في الحوراء وينبع، وهما مينائى المدينة المنورة، ثم تم التوغّل جنوباً حتى رابع من موانئ مكة، وتم إغراق عدد من السفن كان الحجاج يستقلونها ويتجهون منها إلى جدة^(٢٣)، كما تم مهاجمة عيذاب التى عُدّت ميناء الحج إلى الحجاز، وكان لها دورها البارز فى حركة التجارة أيضاً فى ذلك العصر؛ وبالتالى، وصل الصليبيون إلى أبعد نقطة جنوبية فى توسعاتهم على مدى القرنين ١٢، ١٣م، وبصورة لم تحدث من قبل على مدى نحو (٨٥) عاماً من تاريخ وجودهم على أرض الشرق على نحو دلّ على تدرّج تحركات الصليبيين العسكرية وتناميها مرحلة بعد أخرى.

وبالفعل هاجم عيذاب؛ وهناك من يرى أن هجومه عليها يدل على التخبّط فى اختيار الأهداف العسكرية، وربما الجهل بجغرافية البحر الأحمر^(٢٤)؛ وللدرد على ذلك التصوّر علينا ملاحظة التالى:

أولاً: كان الهجوم على عيذاب أمراً مهماً من أجل تشتيت جهد الدولة الأيوبية بين ضفتى البحر الأحمر، على نحو يكسب معه الوقت، وبالتالى يحقق الأهداف التى أرادها من جراء تلك العملية العسكرية؛ وكذلك، فإن الهجوم عليها يؤكد قدرة الصليبيين على ضرب الدولة الأيوبية فى نصفها الجنوبى: مصر.

ثانياً: من المستبعد تماماً أن يقوم ذلك الفارس الصليبي مدعوماً بإمكانات مملكة الصليبيين على مثل تلك العملية وهو على غير علم بجغرافية البحر الأحمر، بل المرجح أنه أنفق شهوراً طويلاً فى جمع المعلومات اللازمة، وكذلك إعداد الأسطول اللازم لذلك.

ثالثاً: كان من بين أهداف إرناط لمهاجمة عيذاب، السلب والنهب، فقد سيطر الصليبيون بالفعل هناك على مركب كان ينقل الحجاج المسلمين من جدّة، كما

تم إخضاع قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب^(٢٥)، وتم الفتك بالجميع، كذلك، سلب الصليبيون مركبين بهما بضائع تم جلبها من اليمن، كما نُهبت مواد غذائية كانت مخصصة للحرمين الشريفين^(٢٦)، ولا شك في أن ذلك كلّه؛ دلّ على أن قوّة الصليبيين الغاشمة وضعت مكانة الدولة الأيوبية في اختبار قاس غير مسبوق منذ أن قامت على أنقاض الفاطميين عام ١١٧١م. بصفة عامة، كان الصليبيون على مسيرة يوم واحد من الوصول إلى المدينة المنورة وأرسل صلاح الدين إلى شقيقه العادل أبو بكر بمصر، يطلب منه التدخل السريع لمواجهة الموقف، وبالفعل، ظهر دور بطولى للأسطول الأيوبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ، وأمكن مهاجمة الصليبيين، ولاذ عدد منهم بالفرار، وعلى رأسهم إرناط إلى الكرك؛ وتم أسر العديدين، ولدينا رؤية شاهد عيان في صورة الرحالة الأندلسي ابن جبير، عندما دخل مدينة الإسكندرية وشاهد التشهير بالأسرى الصليبيين عام ١١٨٣م^(٢٧)، مع ملاحظة أنه تم نحر اثنين من الأسرى في منى في موسم الحج، كي يكونوا عبرة لغيرهم، وحتى لا يدلّوا أحداً من الصليبيين على الطريق الذي سلكوه للوصول إلى هناك.

وعلى الرغم من الفشل المبين الذي نُكبت به حملة إرناط الغادرة على الحجاز عام ١١٨٢م، إلا أنّها تركت عدة نتائج على جانب كبير من الأهمية يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: تأكّد لنا على نحو واضح تنامي الأطماع الصليبية في المنطقة، والفارق بين الهدف المعلن الذي تحدّث عنه البابا أوربان الثاني (urban ii) ١٠٨٩-١٠٩٩م) في مجّمع كليرمونت clermont في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م^(٢٩) عندما تحدّث فقط عن الأرض المقدسة في فلسطين، واستعادة بيت المقدس من سيطرة المسلمين، وبينما واقعياً وعملياً كان للصليبيين أهدافهم العديدة في صورة

السيطرة الإقتصادية على المنطقة ومحاربة الإسلام في عقر داره وفرض مشروع معدّ سلفاً للتنصير وتحويل المسلمين إلى تابعين لكنيسة روما الكاثوليكية باعتبارها سيدة الكنائس، والأمر المؤكد أن مطامعهم ما كان لها حدّ.

ثانياً: من الممكن القول بأن الحركة الصليبية كانت تتعدد وتتوسع وفق مقتضيات الأحوال ووفق مصالحها العليا، وأن الغزاة خاضوا غمار تجارب جديدة؛ فها هو البحر الأحمر الذي ما عهد فيه صليبيون من قبل، يدخل في نطاق الأطماع الصليبية، ولم يعد الأمر قاصراً على البحر المتوسط فقط؛ وكل ذلك بجلاء على أن الحركة المذكورة كانت تتحول وتتلوّن في سبيل تحقيق أكبر قدر من الأطماع التي هندست لها البابوية وكذلك القوى الإستعمارية الأوروبية في ذلك العصر، مستغلة أية ثغرات أمنية لدى المسلمين يمكن النفاذ من خلالها.

ثالثاً: أكد دخول عيذاب في دائرة العمليات الحربية الصليبية عام ١١٨٢م، لنا أنها أبعد نقطة جنوبية في توسعات الصليبيين، وهو أمر لا ينفصل عن أطماعهم الخبيثة في تطوير إمكاناتهم، ومحاوله الخروج خارج نطاق "الشرنقة الشامية" التي حُبسوا فيها على مدى زمنى طويل، إلا أن ذلك الأمر خفق تماماً، وتأكّد لنا بالفعل أن الصليبيين نجحوا آسيوياً وفشلوا إفريقياً^(٣٠)، سواءً من خلال حملة بلدوين الأول (١١٠٠ - ١١١٨م) على مصر عام ١١١٨م - على الرغم من طبيعتها الإستكشافية - وحمالات الملك عمورى (١١٦٣ - ١١٧٤م) على مصر، والآن جاءت حملة الفارس الصليبي إرناط عام ١١٨٢م، كى تضمّ فشلاً جديداً إلى المحاولات الصليبية السابقة للتوسع في النطاق الأفريقي في القسم الشمالى الشرقى للقارة في صورة مصر، أو من خلال سواحلها الجنوبية المطلّة على البحر الأحمر.

بصفة عامة، إذا ما قارنًا بين حملة إرناط على الحجاز وهجومه على عيذاب عام ١١٨٢م، وحملة بلدوين الأول على مصر عام ١١١٨م، نجد أن حملة بلدوين كانت موجهة أصلاً صوب مصر، وكانت ذات طابع استكشافي، وإن وصلت إلى مصب نهر النيل في دمياط لأول مرة في تاريخ الصليبيين منذ أن وصلوا إلى بلاد الشام، وإن كانت هذه الحملة مقدّمة للأطماع الصليبية صوب النطاق الإفريقي، أما حملة إرناط على عيذاب فكانت جزءاً فرعياً من حملته الأصلية على الحجاز، وإن كانت جديدة على المنطقة التي لم تكن أصلاً هدفاً سابقاً للصليبيين، مع ملاحظة الفارق بين (حملة بلدوين ١١١٨م، وإرناط ١١٨٢م) حيث تزايدت معارف الصليبيين عن مصر في الحملة الأخيرة، وامتلكوا قاعدة معلومات كبيرة عنها على نحو يسمح لهم بمثل ذلك التخطيط والأعداد والتنفيذ لعملية بحرية تستهدف الحجاز من ناحية، ومهاجمة منطقة طرفية حدودية جنوبية كما في حالة عيذاب، وكانت القيادة الصليبية تعلم جيداً أنها غير مسلحة من جانب الأيوبيين الذين لم يتوقعوا هجوماً عليها، نظراً لإبتعادها عن مسرح الأحداث الأصلي في بلاد الشام.

ولدينا الآن، تساؤل يتمثل في الآتي، هل كانت عملية مهاجمة عيذاب مجرد عملية عسكرية محدودة من أجل تشتيت جهود الأيوبيين بين ضفتي البحر الأحمر؟ أم أنها كانت تحوى أهدافاً أخرى؟، والواقع أن تسلسل الأحداث يُعطي انطباعاً مفاده أن الصليبيين على مدى تاريخهم كانوا يحققون عدة أهداف من وراء أي تحرك عسكري يتجهون إليه، وبالتالي فمن المفترض أن إرناط ومن ورائه مملكة بيت المقدس الصليبية أراد إشعار الأحباش بقوته، وأن الصليبيين ذراعهم طويلة على نحو مكّنتهم من الوصول إلى ذلك العمق الأيوبي الجنوبي، كما أنه أراد إيصال تحدّي للعالم الإسلامي من خلال مهاجمة المدينة المنورة، وفي نفس الحين اكتساب شعبية ودعاية أكبر في أوروبا من وراء ذلك التحرك العسكري.

وإذا تساءلنا من الراجح ومن الخاسر من وراء تلك العملية البرية البحرية على ضفتي البحر الأحمر، الصليبيون أم الأيوبيون، سنجد أن إرنات ربح دعائياً، وإن فشلت عملياته عسكرياً، إلا أن صلاح الدين الأيوبي استغل ذلك كله للدعاية له لدى العباسيين، وظهر بمظهر حامى الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، وذلك نلاحظه بجلاء من خلال إحتفاء واهتمام المصادر المعاصرة الأيوبية، بالإشارة لتلك الواقعة، كما أن علينا إدراك أن ذلك السلطان الأيوبي أدرك أكثر من أى وقت مضى خطورة إرنات، ولذلك لم يكن غريباً علينا أن ذلك السلطان الأيوبي أدرك أكثر من أى وقت مدى خطورة إرنات، ولذلك لم يكن غريباً بعد انقضاء (٥) أعوام فقط من تلك الواقعة، أن فتك به في ظروف معركة حطين في ٤ يوليو^(٣١) عام ١١٨٧م، وبالتالي سقطت من على مسرح الأحداث شخصية قيادية صليبية مندفعة ومتهورة حركتها عقدة الأسر في سجون المسلمين وشاركت في إلحاق الهزيمة بالأيوبيين في معركة الرملة عام ١١٧٧م، وعملية البحر الأحمر عام ١١٨٢م، التي لحقت فيها الهزيمة بالصليبيين. بصفة عامة، نجد أن مثل التوسعات الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٧م إلى ١٢٢٧م، أو على مدى (١٩٤) عاماً تمثلت زاويتان منه في الرها عام ١٠٩٧م، كأقصى توسع شرقى، وعيذاب عام ١١٨٢م كأقصى توسع جنوبي.

أما الزاوية الثالثة، فقد تمثلت في تونس ذات الموقع الإستراتيجى الفريد في الشمال الإفريقي، وفي مقابل إيطاليا، ومن خلالها تطلّ على البحر المتوسط، وهى نافذة إفريقية فى مقابل القارة الأوروبية، خاصة قسمها الجنوبي، وكانت حلقة وصل بين تجارة أفريقيا ما وراء الصحراء، وعالم البحر المتوسط^(٣٢)، كما كانت حلقة وصل أخرى بين مصر والمغرب الأقصى، ومن الممكن الهجوم الصليبي عليها ليتم التوسع شرقاً صوب حاضرة نهر النيل، مصر، هدف الصليبيين الكبير.

تجدد الإشارة إلى أن المنصرين الفرنسيين أوهموا صناع القرار في باريس أنه من الممكن تحويل حاكم تونس، أبو عبدالله المستنصر الحفصي (١٢٤٩-١٢٧٧م) إلى المسيحية الكاثوليكية، وبالتالي يمكن تحويل أهل تونس هم أيضاً، متصورين أن تسامح ذلك الحاكم مع التجار الفرنسيين سيؤدي بالضرورة إلى الإرتداد عن الإسلام.

والواقع أن منطقة بتلك الأهمية الإستراتيجية والإقتصادية ما كان من الممكن أن تغيب عن مطامع الصليبيين، ولذلك وضعوها في بؤرة توسعاتهم؛ وكان موعد الأطماع الصليبية نحو تونس في عام ١٢٧٠م، عندما قام بغزوها ملك فرنسا لويس التاسع^(٣٣) Louis ix (١٢٢٦ - ١٢٧٠م) الذي قاد من قبل حملة فاشلة على مصر عام ١٢٥٠م، وأسر في دار القاضي ابن لقمان في المنصورة، وقد حركته هو الآخر عقدة الأسر والتي من المفترض أنها كانت تساوره على مدى (٢٠) عاماً، وعلى مدى الأعوام من ١٢٥٠م، ١٢٧٠م، خاصة أنه تعرّض لمهانة شخصية باعتباره ملكاً لفرنسا، على نحو لم يحدث لأي ملك فرنسي سابق.

وإلى جانب الدافع الشخصي المذكور، هناك الرغبة في مهاجمة مصر من الغرب خلال الهجوم على تونس، واتخاذها قنطرة لمهاجمة حاضرة النيل بعد اجتياز الصحراء الليبية، كذلك هناك الرغبة في إيجاد مثلث تجارى ما بين تونس، وصقلية، وميناء مرسيليا بجنوب فرنسا على البحر المتوسط، وفي نفس الحين، دعم نفوذ أسرة آل كايه capet التي أرادت تكوين أملاك لها في الشرق، سواء في شرقي البحر المتوسط levant أو في غربه، ويتجه المؤرخون الفرنسيون إلى إبراز الجانب الديني لدى لويس التاسع تأثراً بالرؤية الجوانفيلية حيث نظر إليه مؤرخ سيرته جان دي جوانفيل jean de joinville على أنه "قديس"؛ ومع ذلك علينا الفكك من تلك الرؤية المنحازة، خاصة أن التاريخ يتحرك عموماً من خلال جملة دوافع وليس من خلال دافع واحد يرتبط بشخص لويس التاسع الذي لم يكن في توسعته قديساً بل كان سياسياً داهية

يتحرك صوب المكاسب السياسية والإقتصادية؛ ولا تغفل ملاحظة أنه الملك الفرنسى الوحيد الذى قاد حملتين على الشرق من ملوك أسرة آل كاييه، وكان مصيرهما الفشل المبين.

ولست فى حاجة إلى تكرار ما هو معروف عن وقائع تلك الحملة الفرنسية على تونس عام ١٢٧٠م، إذ تناولتها العديد من الدراسات؛ وقد إنتهت بالإخفاق وموت لويس التاسع على أرض تونس فى ٢٥ أغسطس ١٢٧٠م، وتم توقيع اتفاق بين الصليبيين والحفصيين حكام تونس حينذاك فى صورة المستنصر الحفصى الذى قد توهم لويس التاسع إمكانية تنصيره دون جدوى، إذ وقف مؤيداً للجهاد ضد الغزاة.

لقد نتج عن حملة لويس التاسع على تونس؛ التأكيد على أن الصليبيات فى القرن ١٣م، وفى النصف الثانى منه تحركت صوب الناحية الإقتصادية والرغبة المستعرة فى توسيع رقعة الأملاك الفرنسية فى عالم البحر المتوسط، كما تأكد عجز الصليبيين عن حلّ عقدة تاريخ الصليبيين المستحكمة، والتى سبقت الإشارة إليها فى صورة محاولة الخروج من الشرنقة الشامية، بالتوسّع فى إفريقيا دون جدوى.

وإذا ما قارنّا بين زوايا ذلك المثلث (الرها-عيزاب - تونس)، نجد أن هناك عوامل متشابهة و مختلفة بينها، ويمكن إبراز ذلك فى الآتى:

أولاً: من الملاحظ أن إخضاع الرها وتكوين إمارة صليبية بها، وكذلك الهجوم على عيزاب وتونس، كل ذلك تم من خلال قيادات فرنسية سواءً بلدوين البويونى، ورينو شاتيون، ولويس التاسع على نحو يؤكد قيادة فرنسا للمشروع الصليبي، وبصورة تؤكد على أن فرنسا هى أم الصليبيات، ولذلك لا يُكتب تاريخ تلك الظاهرة البارزة فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بدون دورها البارز، مع عدم إغفال دور قوى أخرى مثل إنجلترا، وألمانيا، والمدن

الإيطالية مثل جنوة، وبيزا، والبندقية إلا أن الدور الفرنسي كان ريادياً بصفة عامة.

ثانياً: إمتازت المناطق الثلاث بأهمية موقعها الإستراتيجي، واتفقت في زاوية التجارة سواءً الحرير في الرها، والتوابل في عيذاب، وكافة السلع التجارية التي عملت بها تونس، مع عدم إغفال أن أركان التجارة في العصور، منها الرقيق، والذهب، والتوابل، وبصورة تؤكد على أن الحركة الصليبية كان لعبها سرعان ما يسيل أمام المكاسب الإقتصادية، وأن تاريخ الصليبيات لا يمكن أن يُكتب بدون الدافع الإقتصادي، وعلى نحو خاص التجارة والمدن التجارية الإيطالية خير دليل على ذلك.

ثالثاً: توزعت السيطرة الصليبية ومحاولتها على المناطق الثلاث المذكورة زمنياً بين نهاية القرن ١١م، والقرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر، وهو أمر يدل على امتداد الحركة الصليبية وتوزعها على نطاق زمني طويل و ممتد، والأمر المؤكد أن الأربعة أعوام الواقعة بين عامي ١٠٩٥م- وهو عام الدعوة للمشروع الصليبي في كليرمونت- وعام ١٠٩٩م، وهو عام سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين، وبينهما تأسيس إمارتي الرها عام ١٠٩٧م، وأنطاكية عام ١٠٩٨م، كان لها تأثيرها العميق على مجريات الأحداث على مدى القرنين ١٢، ١٣م.

رابعاً: اختلفت الرها من خلال أنها كانت منطقة داخلية في صورة الجزيرة الفراتية الحيوية، ووجد بها أنهار مثل الفرات والبليخ، بينما كانت عيذاب في صحراء قاحلة لا ماء فيها وواقعة على واجهة بحرية على البحر الأحمر، ووقعت تونس على البحر المتوسط، ودل ذلك على تنوع تاريخ الحروب الصليبية بين يابس وبحر، مع ملاحظة أن الصليبيين حرصوا على امتداد حدودهم بوطنهم الأم في

الغرب الأوروبي، ولذلك أنفقوا (٥٤) عاماً من تاريخهم، وتحديدًا من ١١٠٠م إلى ١١٥٣م، أي نحو ربع أعوام القرنين ١٢، ١٣م من أجل إخضاع الساحل الشامي^(٣٤) الممتد من سان سيمون ميناء أنطاكية في الشمال إلى غرة جنوباً؛ ومن المهم هنا، ملاحظة أن تجارة الرها ذاتها كانت تمتد إلى أنطاكية المجاورة لها، وتم تصريف منتجاتها عبر ميناء سان سيمون إلى عالم البحر المتوسط المتسع، وبالتالي عوّضت افتقادها لنافذة بحرية من خلال إمارة أنطاكية الواقعة إلى الغرب منها، والمنافسة اللدودة لها.

خامساً: إتفقت الرها وعيذاب في زاوية اتصالهما بالهند من خلال تجارة التوابل على نحو خاص، حيث كانت القوافل البحرية تسلك طريق الخليج العربي ومنه إلى جنوبي العراق، ووسطه، وشماله وصولاً إلى الموصل، ومنها تمرّ إلى الرها ثم أنطاكية فالبحر المتوسط، وبالتالي كانت منتجات جنوبي آسيا، وخاصة الهند بمثابة "العمق التجاري الإستراتيجي" للرها، مع عدم إغفال طريق الحرير السالف الذكر بطبيعة الحال، أما عيذاب فإن تجارة التوابل قدّمت إليها من الهند هي الأخرى؛ بينما ذلك الأمر لم يكن وارداً بالنسبة لتونس بنفس الدرجة التي كانت نافذة لتجارة أفريقيا ما وراء الصحراء المزدهرة، وكانت حلقة اتصال بين ذلك النطاق وتجارة عالم البحر المتوسط المزدهرة خاصة خلال ما عُرف بالثورة التجارية^(٣٥) The Commercial Revolution في العصور الوسطى (٩٥٠ - ١٣٥٠م)، و المؤكد أن تجارة تونس كانت أفريقية أوروبية أكثر من كونها آسيوية.

سادساً: وُجدت اختلافات بين الزوايا الثلاث للمثلث السالف الذكر (الرها- عيذاب- تونس) إذ احتوت إمارة الرها على عدد من المدن المهمة مثل: الرها، وسروج، وتل باشر، ودلوك، وكيسوم، وبهسنا؛ ونفس الأمر بالنسبة لتونس،

التي احتوت على مدن مثل: قابس، وسوسة، وبنزرت، وصفاقس، وجزيرة جربة؛ أما عيذاب، فكانت توصف بأنها ميناء صغير لم يكن قد نال قسطاً من التحضّر كبير عندما هوجمت من جانب قوات إرناط الصليبية؛ من جهة أخرى، نلاحظ أن الرها احتوت على إمارة صليبية امتدّت من ١٠٩٧م إلى ١١٤٤م أى على مدى (٤٨) عاماً، أما الحملة الصليبية على تونس، فلم تستغرق سوى شهور قليلة، ونفس الأمر بالنسبة للهجوم على عيذاب الذي لم يستغرق سوى فترة وجيزة.

سابعاً: تنوع الموقع الجغرافي لكل من العناصر الثلاثة للمثلث المذكور، فالرها وقعت ضمن قارة آسيا، أما عيذاب وتونس، فكانتا ضمن قارة أفريقيا؛ ولا نغفل أن الصليبيين قدموا من الغرب الأوروبي، وبالتالي، فإن الحركة الصليبية ذاتها تعدّ صراعاً قارياً، ورغبة في فرض هيمنة فرنسا- وهي زعيمة أوروبا في العصر الوسيط- على حساب قارتي آسيا وأفريقيا، دون إغفال عناصر المنافسة الأخرى مع إنجلترا، وألمانيا بطبيعة الحال.

من جهة أخرى، يلاحظ أن تونس وعيذاب إتصلتا معاً من خلال حركة الحج المغربي إلى الحجاز، حيث تدفّق الحجاج المغاربة القادمون من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، نحو مصر، ومنها إلى ميناء عيذاب للذهاب إلى الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، كذلك تدفّقت السلع التجارية من عيذاب إلى الإسكندرية، ومنها إلى تونس من خلال الطريق الساحلي.

بصفة عامة، فشلت محاولات الصليبيين للإحتفاظ بعناصر المثلث المذكور: الرّها، عيذاب، تونس، وانهار المشروع الصليبي في مرحلته الواقعة عبر القرنين ١٢، ١٣م، ليتخذ من بعد ذلك أشكالاً وصوراً أخرى تتفق مع تطوّر العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط^(٣٦).

خلص البحث إلى عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: أكّد العرض السابق على حقيقة دوافع المشروع الصليبي، وأن توسعات الغزاة منذ البواكير الأولى لتاريخهم في منطقة الشرق الأدنى، كانت من خلال الرغبة في السيطرة على خطوط التجارة الدولية، لاسيما فيما يتصل بالتوابل التي كان العالم يلهث وراءها في العصور الوسطى حيث احتاجتها الأسواق الأوروبية غاية الإحتياج من أجل حفظ الأسماك، إستعداداً لمواسم الصيام عند المسيحيين؛ والممكن القول أنه من العسير كتابة تاريخ الصليبيين في الشرق دون التجارة، ودلّ ذلك على أن المعلن من دوافع تلك الحركة يُخالف الواقع التاريخي، فما قامت الحركة الصليبية من أجل إستعادة بيت المقدس من السيادة الإسلامية فقط، بل من أجل النهب المنظم لثروات الشرق على حساب أبنائه الأصليين من المسلمين والمسيحيين الشرقيين.

ثانياً: أوضحت الصفحات السابقة أن الرها كانت أقصى توسعات للصليبيين شرقاً، كما أن عيذاب كانت أقصى توسّع لهم في جهة الجنوب، أما تونس فكانت التوسع الأبعد غرباً، وما كان ذلك على نحو عشوائي أو بمحضّ المصادفة بل من خلال تخطيط وتآمر عميقين، وقد تم عقد مقارنة بين المراكز الثلاثة المذكورة، ويلاحظ هنا أن ذلك يُثبت لنا محاولة الصليبيين الملحّة من أجل الخروج من "الشرنقة الشامية" التي أكّدت أن الغزاة نجحوا آسيوياً وفشلوا أفريقياً، وتلك عقدة تاريخهم المستحكمة التي لم يجدوا لها حلاً على الرغم من كافة الإمكانيات المادية والبشرية التي رُصدت لدعم المشروع المذكور وعجزوا عن حلّها على مدى عقود عديدة من تاريخ وجودهم في المنطقة.

ثالثاً: لم يكتب للتوسعات الثلاثة الإستمرار، على الرغم من أن نقطة الشرق "الرها"، دامت نحو (٤٨) عاماً؛ وكانت أطول المناطق النائية في توسعات الصليبيين

إستمراراً، ولم يتمكن الصليبيون من الحفاظ على عيذاب وتونس، إلا لمدة وجيزة، ولا تعليل لذلك سوى يقظة حركة الجهاد الإسلامي وقادتها الذين قاوموا الغزو الصليبي؛ وفي هذا المجال نذكر قيادات بارزة في صورة عماد الدين زنكى، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، وحسام الدين لؤلؤ، والمستنصر الحفصي، دون أن نغفل دور الشعوب التي وقفت بجوار قادتها تدعمهم بكل ما لديها من إمكانيات، حتى لا تختزل تاريخ الصراع الإسلامي - الصليبي في القيادات، ونغفل دور الشعوب التي كان لها القدح الأعلى، وعاد الوجود الصليبي إلى رقعته الجغرافية المحدودة في بلاد الشام وسط محيط إسلامي شاسع المساحة جغرافياً وكثيف من حيث حجم السكان، إلى أن تم طرد الصليبيين نهائياً من عكا عام ١٢٩١م، بفضل جهاد المماليك الذين وصفهم ابن واصل بأنهم داوية الإسلام.

رابعاً: أكد البحث على التاريخ البحرى للحركة الصليبية، ويلاحظ هنا عدم اقتصرها على البحر المتوسط الذى توّسط قارات العالم القديم والوسيط، بل هناك دور للبحر الأحمر كما اتضح من خلال حملة إرناط عبره، ومهاجمة الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، ولا نغفل هنا ملاحظة وجود بحر آخر في تاريخ تلك الحركة التاريخية البارزة في عالم العصور الوسطى، في صورة بحر البلطيق^(٣٧)، في القرن الثالث عشر الميلادى، حيث شنت البابوية حملة صليبية هناك من خلال عناصر فرسان التيتون، ضد من اعتبرتهم هراطقة، على نحو أكد أن البابوية ووجهت الصليبيات من أجل تحقيق أهدافها، سواء ضد المسلمين أو ضد من خالفها التوجهات الدينية على الأرض الأوروبية ذاتها.

خامساً: أكدت الصفحات السابقة على ضرورة الإهتمام بالتحليل النفسى لأحداث عصر الحروب الصليبية التي لا يمكن فصلها عن باقى الدوافع المحركة لها؛ ولا

ريب في أن عقدة الأسر لكل من إرناط الذي مكث في أسر المسلمين نحو (١٦) عاماً، وكذلك أسر الملك لويس التاسع على النحو الذي كان في دار ابن لقمان، جعل كلاً منهما برغب بشدة في الإنتقام، فكانت الحملة على الحجاز، والحملة على تونس، على الرغم ما في الأولى من مغامرة ومخاطرة، وما في الثانية من إندفاع، على نحو جعل جان دي جوانفيل نفسه ينصح ذلك الملك بعدم الإقدام عليها، دون جدوى، مع عدم إغفال الدوافع الأخرى السياسية والإقتصادية والتنصيرية بطبيعة الحال.

سادساً: من الملاحظ أن فشل الصليبيين في إخضاع أو استمرار السيطرة على الرها، وعيذاب، وتونس لم يكن ذلك هو فشلهم الوحيد على مدى المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٩٧م، ١٢٩١م، أى على مدى ما زاد على القرنين من عمر الزمان، فلا نغفل وجود فشل آخر في صورة العجز عن إخضاع مدينتي دمشق في بلاد الشام والقاهرة في مصر، وهما مفتاحا "الشامصر" وهى تلك الرابطة الجغرافية والتاريخية بين بلاد الشام ومصر عبر عصور التاريخ، ومن المقرر أنه في حالة نجاح الغزاة في إخضاع المدينتين المحوريين المذكورتين، لتغيّر تاريخ الصراع الصليبي-الإسلامي بدرجة كبيرة، إلا أن ذلك لم يحدث بفضل فعاليات حركة الجهاد الإسلامي واستشراء الخلافات الصليبية-الصليبية على الرغم من دعم الغرب للمشروع الصليبي.

وهكذا يتأكد لنا أن النجاح لم يحالف الصليبيين بدرجة كاملة على مدى تاريخهم، وجاء عجزهم عن الاستمرار في السيطرة على الرها، وإخضاع عيذاب لتكون نقطة انطلاق لما هو أبعد في نطاق البحر الأحمر، ثم تونس، ليؤكد ذلك كله عودتهم إلى النطاق الشامى الطولى المعتاد.

سابعاً: لعل من أهم النتائج التي يمكن الخروج بها من الصفحات السابقة، التأكيد على أن الحركة الصليبية كانت ديناميكية وتُطور نفسها قدر استطاعة الصليبيين، وبالتالي فإن تصوّر الركود والخمول على تاريخ الصليبيين أمرٌ جانبه الصواب؛ وقد ارتبط نشاطهم بحجم المعلومات التي حصلوا عليها عن المسلمين، فكلما تطورت معلوماتهم الجغرافية عن مناطق أعدائهم، وكذلك كلما زادت أطماعهم الإستعمارية (أى الإستدمارية)، كلما ظهر إلى الوجود محاولات توسعهم الخارجى؛ وعلينا عدم استصغار بعض المناطق التي سعوا إلى احتلالها، لأنهم في حالة نجاحهم كانت نقاط إرتكاز لأهداف أبعدهم وأخطر. ذلك عرض عن أقصى حدود التوسعات الصليبية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٩٧م، ١٢٩١٠م في صورة الرها، وعيذاب، وتونس.

الهوامش

(١) عن إمارة الرها أنظر:

علية الجنزورى، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٦م، أفضل دراسة باللغة العربية في موضوعها، أعدتها المؤرخة المصرية الرائدة في كل من التاريخ البيزنطى وتاريخ الحروب الصليبية، محمود الرويضى، إمارة الرها الصليبية ١٠٩٧م - ١١٥١م / ٤٩٠هـ - ٥٤٦هـ، ط. عمان ٢٠٠٢م

J. B. Segal, Edessa, The Blessed City, Oxford 1970

R.L. Nicholson, Jocelyn I, Prince of Edessa, Urban 1954, Id,

Jocelyn III and the Fall of The Crusade States 1134-1199, Leiden 1973

C. Alptekin, The Reign of Zangi, (521- 541 / 1127-1146), Ataturk University, Erzurum 1978 و Gibb, "Zengi and the Fall of Edessa", Setton, A History of the Crusader, vol. I, Wisconson 1989, pp. 449- 462

عماد الدين خليل، عماد الدين زنكى، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص ١٥١ -
ص ١٥٣، على الصلابي، السلطان الشهيد عماد الدين زنكى، ط. بيروت ٢٠١٠م،
ص ٢٩ - ٣١، شاكر أبو بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ط. بيروت
١٩٧٢م، ص ١٤٧،

(٢) عن إمارة أنطاكية الصليبية أنظر:

C. Cahen, La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris 1940

أفضل دراسة عن إمارة أنطاكية لا تزال تحتفظ بقيمتها العلمية البارزة بعد ما زاد على
(٧٠) عاماً من صدورها.

حسين عطية، إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١ م / ٤٩٢ هـ - ٥٦٧ هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٨١ م، نفسه، "إمارة أنطاكية والمسلمون"، ط. الإسكندرية ١٩٨٩ م، كمال أمين محمد حسب الله، "إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨ - ١٢٦٨ م"، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٩٠ م (دراسة علمية مهمة تناولت إمارة أنطاكية الصليبية منذ قيامها حتى سقوطها).

(٣) عن مملكة بيت المقدس الصليبية أنظر:

J. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, The European Colonialism in the Middle Ages, London 1972 Id, Crusader Institutions, Oxford 1980; J. Richard, "The Latin Kingdom of Jerusalem", Amsterdam 1979; T.F. Madden, A concise History of the Crusades, New York 1999, pp. 39- 63; J. La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, New York 1970

عمر كمال توفيق، "مملكة بيت المقدس الصليبية"، ط. الإسكندرية ١٩٥٨ م، سعيد عاشور، "الحركة الصليبية صفحة مشرّفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى"، ط. القاهرة ١٩٦٣ م. جان ريتشارد، تكوين مملكة القدس اللاتينية، ضمن كتاب "الصراع الإسلامي - الفرنجى على فلسطين في القرون الوسطى، تحرير هادية دجاني شكيل وبرهان الدجاني، ط. بيروت ١٩٩٤ م، ص ١٤٧ - ص ١٧٩، هنادى السيد، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول ١١٠٠ م - ١١١٨ م / ٤٩٤ هـ - ٥١٢ هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٨ م، (الكتاب في الأصل رسالة ماجستير تحت إشرافى)، صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثانى ١١١٨ م - ١١٣١ م / ٥١٢ هـ - ٥٢٥ هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٨ م، (الكتاب في الأصل رسالة ماجستير تحت إشرافى)، حسين عطية، قوانين مملكة بيت المقدس في ضوء

المصادر الصليبية، ط. الإسكندرية ب.ت. جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس الصليبية وعلاقتها الخارجية ٥٨٧هـ - ٦٩٠هـ / ١١٩١م - ١٢٩١م، رسالة دكتوراة غير منشورة - كلية الآداب، جامعة الزقازيق فرع بنها عام ١٩٨٩م، محمد فوزى رحيل، نهاية الصليبيين (فتح عكا ٦٤٨هـ - ٦٩٠هـ / ١٢٥٠م - ١٢٩١م، ط. القاهرة ٢٠٠٩م) (دراسة قيمة لتلميذى النابه).

(٤) عن إمارة طرابلس الصليبية أنظر:

J. Richard, le Conte de Tripolis au dynaste de Toulousin, Paris 1945; M. Baldwin, Raymond III of Tripolis and the Fall of Jerusalem, Princeton 1936

عبد العزيز عبد الدايم، إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية ب.ت.، سليمان الخرابشة، نيابة طرابلس فى العصر المملوكى، ط. عمان ١٩٩٣م. نهى الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية فى القرن ١٣م، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، (الكتاب فى الأصل رسالة ماجستير تحت إشرافى من إعداد باحثة مصرية واعدة)، (٥) الرويضى، المرجع السابق، ص ٩٥

وعن موقع الرها أنظر:

Eucherus, Description of Jerusalem, Tr. A. Stewart, p.p.t.s., Vol. II, London 1892, p. 19 ; Silvia of Aquitana, pilgrimage to the Holy Places, Tr. A. Stewart, p.p.t.s., Vol.II, London 1896, p.p. 34- 35

ابن حوقل، الرها صورة الأرض، ط. القاهرة ب.ت.، ص ٢٠٤، أبو الفداء، أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينو ودى سلامة، ط. باريس، ١٨٤٠م، ص ٢٧٦، ص ٢٧٧، مجهول، حدود العالم، من المشرق إلى المغرب، ت. يوسف الهادى، ط.

القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١٦٣، يوسف بغدادى، "الزها"، المشرق، العدد (٤) السنة (٨) عام ١٩٠٥م، ص ١٧١، زبيدة عطا، الترك فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٩١، محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين فى الموصل وبلاد الشام، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص ٣٤-٣٥، كمال بن مرس، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل و حلب)، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١١١-١١٢.

(٦) نفسه، نفس الصفحة.

(٧) علية الجنزورى، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٨) نفسه، ص ٣٨٥.

F.M. Hume, The Middle Ages, New York 1938, p 478 (٩)

(١٠) عن طريق الحرير أنظر:

على أبو عساف، "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم"، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢)، العددان (٣٩، ٤٠) كانون الأول ١٩٩١م، ص ٧٢،

ص ٨٢، عبد الرحمن حميده، طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركو بولو، العدد المذكور، ص ٨٣-٩٥، محمد حرب فرزات، "حوار الحضارات على طريق الحرير بين

الصين والشام"، العدد المذكور، ص ٩٦-١١١، بشر زهدى، طريق الحرير وتدمير مدينة القوافل التجارية، العدد المذكور، ص ١١٩-١٣٧، نعمان جبران، محاولات

المغول السيطرة على طريق الحرير (أسباب ونتائج)، العدد المذكور،

ص ١٣٨-١٥٥، موريس لومبار، الإسلام فى مجده الأول، ت. اسماعيل العربى، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م، ص ٢٧١-٢٧٢، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون

والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٣٢٢، محمد عبد الحميد الحمد، حضارات طريق الحرير، ط. دمشق ٢٠٠٧م.

(١١) ابن حوقل، صورة الأرض، ط. القاهرة ب.ت. ص ٢٠٤، مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ت. يوسف الهادي، ط. القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٦٣، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ت. كوركيس عواد وبشير فرنسيس، ط. بيروت ١٩٨٥م، ص ١٣٥.

(١٢) كلود كاهن، الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية، ت. أحمد الشيخ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٣٧.

(١٣) أفضل عرض لعوامل سقوط الرها تجده لدى:

علية الجنزوري، المرجع السابق، ص ٢٩٥-٣١٢. وعن سقوطها عام ١١٤٤م أنظر:

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص ٢٧٩، ص ٢٨٠، ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص ٦٦-٦٩، العماد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ط. القاهرة ١٩٠٠م، ص ١٨٦، علية الجنزوري، إمارة الرها الصليبية ص ٢٩٥-٣١٢، محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي-الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٦٥، نفسه، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩م-٢٠٠٠م، ص ١٦١، ١٦٢.

.Alptekin, pp.64- 65

(١٤) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ج.(٤)، ص ٦٩.

وعن عيذاب أنظر:

ناصر خسرو، سفرنامه، ت. يحيى الخشاب، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٣٣، ابن جبير، الرحلة، ط. بيروت ٢٠٠٧م، ص ٣٦-٣٨، ياقوت، معجم البلدان، ط.

بيروت ب.ت.، ج ٣، ص ٣٥١، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٣٠ -
ص ١٣١، ابن ممتي، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط. القاهرة ١٩٤٣م،
ص ٣٢٥، المقریزی، الخطط المقریزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوى، ط. القاهرة
١٩٩٨م، ج ١، ص ٥٦٧ .

William of Tyre, Vol.II, p. 336.

أحمد دراج، "عيزاب"، مجلة نفضة افريقيا، العدد (٩)، يوليو ١٩٥٥م، ص ٥٣ -
ص ٦٠، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، ط.
الكويت ١٩٧٩م، ص ٨٠، صفاء حافظ، الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي
حتى نهاية العصر الفاطمي، ط. القاهرة ١٩٨٦، ص ٣٧ - ص ٣٩، راشد البراوى،
حالة مصر الإقتصادية في عهد الفاطميين، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص ٢٤٢، خالد
العمارة، موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك ٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ /
١٢٥٠م - ١٥١٧م، دار الملك عبد العزيز، ط. الرياض ١٤٢٨هـ، ص ٦٢، راوية عبد
الحميد حسانين، ميناء عيزاب و دوره في خدمة الحجاج المغاربة، ضمن كتاب البحر
الأحمر عبر عصور التاريخ، ندوة اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص
٩٧ - ص ١١١، حياة الحجى، الأهمية التاريخية لميناء عيزاب من منتصف القرن
السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى إلى منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع
عشر الميلادى، الندوة المذكورة، ص ٨٣ - ص ٩٢، فؤاد الدويكات، إقطاعية شرق
الأردن في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢هـ - ٥٨٣هـ / ١٠٩٩م - ١١٨٧م، ط. إربد
٢٠٠٩م، ص ١١٨، حاشية ٣،

F.A.Peters, The Hajj, The Muslim Pilgrimage to Mecca
and the Holy places, Princeton University, Princeton
1994, p. 92; S. Lane-poole, A History of Egypt in the
Middle Ages, London 1925, p. 41, p. 155, p. 271;

دراسة على جانب كبير من الأهمية.

(١٥) عن رينو دي شاتيون أنظر:

William of Tyre, A history of deeds done beyond the sea, tr. E.A.Babcock, and A.C. Krey, Vol. II, New York, 1943, pp. 248- 414; Otto of St. Blasion, the third from the chronicle of Otto of St. Blasion, Thatcher, Source Book of Medieval History, New York 1903, pp. 229-230; Ernoul, Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresprier, ed. L. Mas Latrie, Paris 1971, pp. 69-70; Cinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, Tr. Charles Brand, Columbia University 1976, p. 136; G. Schlumberger, Renauld de Chatillon, prince d'Antioch, Paris 1933; B.Hamilton, Reynald of Chatillon, The Elephant of Christ, S.C.H., Vol. 15, 1978, pp. 97- 108 ; Y. Friedman, Encounter between Enemies of Captivity and Ransom in the Latin Kingdom of Jerusalem, Leiden 2002, pp. 85- 86.

محمود رزق محمود، العلاقات بين إرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي، حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م، برهان العابد، إرناط الفارس اللص، نشأته، حياته، غزواته، ودوره في تهيئة الظروف لمعركة حطين، ندوة حطين بمناسبة ثمانية قرون على حطين، ط. دمشق ١٩٨٧م، ص ١ - ص ٢٤، محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٣٢، على أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩م - ١١٨٧م / ٤٩٢هـ - ٥٨٣هـ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٢٧ - ص ٢٣٤.

(١٦) عن الحملة المذكورة أنظر:

أبو شامة، الروضتين، ط. القاهرة ب.ت.، ج ٢، ص ٣٧، ابن متكلى، الأحكام
الملوكية والضوابط النموسية فى فن القتال فى البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم،
رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص ٨٥ -
ص ٨٦، مصطفى الحيارى، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤
ص ٢٥٣ - ص ٢٥٥، يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ط. عمان ١٩٨٢م،
ص ١٢٧ - ص ١٣٦، صالح درادكة، لمحات من تاريخ ايلة (العقبة) فى العصر
الإسلامى، دراسات تاريخية، العددان (١٦)، (١٧)، كانون الثانى وآيار ١٩٨٤م،
ص ٨١ - ٨٣، عثمان عشرى، الأسطول والبحرية فى عصر سلاطين المماليك، رسالة
ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ١١، حمدى
محمد راجح، المحاولة الصليبية لغزو الحجاز فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى/
السادس الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية -
جامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٨٥ (يُلاحظ أن المحاولة المذكورة لم تحدث فى نهاية
القرن المذكور، بل عام ١١٨٢م)، سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها
الباقية، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص ١٠٥، سيده كاشف، صلاح الدين الأيوبي بطل
وجدة الصف العربى، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٧٣ - ص ٧٤، نظير حسّان
سعداوى، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٨م
ص ١٢٦، عرب دعكور، الدولة الأيوبية تاريخها السياسى والحضارى، ط. بيروت
٢٠٠٦م، ص ٩٨، نفسه، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم،
ط. بيروت ٢٠١١م، ص ١٧٠؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ
الإسلامى، ط. الإسكندرية ب.ت.، سليمان الخرابشة، نيابة طرابلس فى العصر
المملوكى، ط. عمان ١٩٩٣م، حسن عبد الوهاب، مصر وأمن البحر الأحمر فى
عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب مقالات وبحوث فى التاريخ الإجتماعى للحروب

الصليبية، ط. الإسكندرية ١٩٩٧م، ص ٢٠١- ص ٢٠٦، سحر السيد سالم، في دراسات من تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والملوكي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ٢٢٣، على السيد على وقاسم عبده قاسم، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٤٧، أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ٤٨، على محمد الصلابي، قيام الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٣٣، عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٧٤،

L. Leiser, The Crusader Raid in the Red Sea 578 H/1182- 1183, J.A.R.C.E, 14, 1977, pp. 87-99 ; A. Ehrenkretz, The place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean Sea in the Middle Ages, J.A.O.S., Vol. 75, 1955 pp. 100- 115

(١٧) عن البحر الأحمر أنظر:

ابن جبير، المصدر السابق، ص ٣٦، ويسميه "بجر جدة"، السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٩٣م، عبد المنعم عبد الحليم، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، ط. الإسكندرية ١٩٩٣م، مجموعة من الباحثين، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، محمد مؤنس عوض، سندباد في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٨٣- ٨٤، أحمد حطيظ، البحر الأحمر في زمن صلاح الدين الأيوبي - مساهمة في دراسة التاريخ الإقتصادي الإسلامى الوسيط، المؤرخ العربي، العدد (٦٠) عام ٢٠٠١م ص ٩٧.

(١٨) عن تجارة الكارم أنظر:

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط. القاهرة ب.ت.، ج ٣، ص ٥٢٤، صبحى لبيب، التجارة الكارمية في تجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة

التاريخية المصرية، م(٤)، العدد (٢) عام ١٩٥٤م، ص ٥ - ص ٥٣، نفسه، سياسة مصر الإقتصادية في عهدى الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، م(٢٨)، (٢٩) عام ١٩٨١ - ١٩٨٢م، ص ١٣٥ - ص ١٣٩، عطية القوصى، أضواء جديدة على تجارة الكارمية، المجلة التاريخية المصرية م(٢٥)، عام ١٩٧٥م، ص ١٧ - ص ٣٣، الشاطر بصيلى، "الكارمية" المجلة التاريخية المصرية، م. (١٣) عام ١٩٧٥م، حسين ربيع، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، الندوة الدولية عن البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص ١١٥ - ص ١١٧، محمد عبد الغنى الأشقر، تجارة الكارم والكارمية في مصر زمن سلاطين المماليك ٥٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م،

W. Fishel, The Spice Trade in Mamluk Egypt: a contribution to the economic history of Medieval Islam, J.E.S.H., 1950, pp. 157- 174

(١٩) عن بلدوين الرابع أنظر:

P. Aube, Baudouin IV de Jerusalem, Roi et Lepreu, Paris 1981; B. Hamilton, Baldwin IV, The Leper King and his Heirs, Cambridge 2000.

- (الدراسة الأخيرة أوفى وأشمل من الأولى) .

ياسر كامل، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع (١١٧٤م - ١١٨٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب = جامعة أسيوط عام ٢٠٠٩م، أفضل دراسة في موضوعها باللغة العربية لتلميذى/ ياسر كامل، وقد عارض فيها تصورات المؤرخ البريطانى البارز، برنارد هاملتون.

(٢٠) عن دراسة نفسية الأسرى أنظر:

محمد شحاته ربيع، علم النفس الحربى، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٣٧١ - ص ٣٨٤،
نفسه، علم النفس العسكرى، ط. عمان ٢٠١٠م ص ٤٩٥ - ص ٥٠٣،
وعن علم النفس الحربى بصفة عامة أنظر:

R. Rieber, The Psychology of War and Peace, Plenum
1991

عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية الحرب والسلام، ط، الإسكندرية ٢٠٠٥م،
ص ١٨٧ - ص ٢٤٤، نفسه، القياس النفسى والعقلى فى القوات المسلحة، ط.
الإسكندرية ٢٠٠٧م، ص ١٥، ص ٣٩٣، نفسه، الحياة العسكرية من المنظور
السيكولوجى، ط. الإسكندرية ٢٠٠٧م، ص ٣٥ - ص ٣٠٦. ومن المهم الإفادة من
هذه الدراسة الجادة:

فاطمة الشناوى، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧م -
١٢٩١م / ٥٣١هـ - ٦٩١هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة
الإسكندرية عام ١٩٩٧م.

(٢١) عبد الله الربيعى، "السياسة الصليبية تجاه البحر الأحمر من عام ٤٩٢هـ -
٥٨٤هـ / ١٠٩٩م - ١١٨٨م دراسة فى التاريخ العسكرى والإقتصادى"، الدارة، العدد
(٣)، السنة (٢٩)، عام ١٤٢٤هـ، ص ١١٠.

(٢٢) عن ذلك أنظر:

محمد مؤنس عوض، "سلاح المعلومات ودوره فى تاريخ الصليبيين خلال المرحلة من
١٠٩٥م - ١١٨٧م"، مجلة بحوث الشرق الأوسط - مركز بحوث الشرق الأوسط
بجامعة عين شمس عدد (١٨)، عام ٢٠١١م .

(٢٣) على محمد الصلابى، قيام الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٣٤، وعن
الحج بصفة عامة أنظر هذه الدراسة البليوغرافية الممتازة:

عبد العزيز السنيدى، معجم ما أُلّف عن الحج، تاريخه، مناسكه، تنظيمه، طرقه، الرحلات، داره الملك عبد العزيز، ط. الرياض ١٤٢٣هـ.

(٢٤) عبد الله الربيعى، المرجع السابق، ص ١١٥.

(٢٥) أحمد مختار العبادى، المرجع السابق، ص ٥٠، وعن قوص أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ط. بيروت ب.ت.، ج ٢، ص ٤١٣

.C. Garcin, un centre Muslman de la Haute Egypte Medievale

:Qus , La Caire 1976.

و أنظر الترجمة العربية :

جارسان، إزدهار وانهبيار حاضرة مصرية- قوص، ت. بشير السباعى، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

(٢٦) أحمد مختار العبادى، المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢٧) ابن جبير، الرحلة، ط. القاهرة ب.ت، ص ٤٥.

(٢٨) عبد الله الربيعى، المرجع السابق، ص ١١١.

(٢٩) عن خطاب البابا أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, Tr. Rita Riyan, Tennessee 1969, pp. 62- 67

- D. Munro, "The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095", A.H.R., Vol. XI, 1906, pp. 231-242

حسن عبد الوهاب، دراسة تحليلية لخطب البابا أربان فى كليرمونت ١٠٩٥م، مجلة

كلية الآداب- جامعة الإسكندرية عدد (٥١) عام ٢٠٠١م، ص ٢١٢- ٢٤٨، محمد

مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة

٢٠٠٧م، ص ٣١٦- ٣١٧.

(٣٠) محمد مؤنس عوض، الإتحاهان الآسيوى والأفريقي للتوسعات الصليبية فى القرنين ١٢، ١٣م، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٩٥ - ص ١٠٤.

(٣١) عن معركة حطين أنظر:

العماد الأصفهاني، الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص ٨١، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٥ - ص ٧٩.

The Old French Continuation of William of Tyre 1194-1197, The Conquest of Jerusalem and the Third Crusade, Sources in translation, ed. P.W. Edbury, Hampshire 1996, pp. 158- 163,

J. Richard, An Account of the Battle of Hattin referring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem State, S., XXXII, 1952, pp. 168- 175,

N. Housely, Saladin's Triumph over the Crusader States: The Battle of Hattin, 1187, H.T. 37, 1987, pp.17- 23,

B.Z. Kedar (ed.),The Horns of Hattin, Jerusalem 1992,
B.Z. Kedar ,The Battle of Hattin, revised, The Horns of Hattin, pp. 190- 207,

جوزيف نسيم يوسف، "معركة حطين، خلفياتها ودلالاتها، عالم الفكر"، م(٢٠)، العدد (١) أبريل - مايو - يونيو ١٩٨٩م، ص ٢٣٥ - ص ٢٥١، مجموعة من الباحثين، حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد، ط. القاهرة ١٩٨٩م، مجموعة من الباحثين، ندوة حطين بمناسبة مرور ثمانية قرون على موقعة حطين، ط. دمشق ١٩٨٧م، سهيل زكار، حطين والفتح الصلاحى للقدس، ط. دمشق ٢٠٠٣م،

ص ٨٦ - ٢٦٠،

(٣٢) عن ذلك أنظر:

M. Bren, Afriqiya, a Marke for Saharan Trade from the Tenth to the Twelfth Century A.D., J.A.S., 10, 1969, pp. 347- 364

(٣٣) عن حملة لويس التاسع على تونس أنظر:

Jean de Joinville, The life of Saint Louis, Chronicles of the Crusades, Tr. M.R.BShaw, London 1976, p. 346, primat, Chronique de Primat, Tr. Jean du Vignay, R.H.G. F.T. XXIII, Paris 1894, pp. 48- 49

ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ١٥٩، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط. القاهرة ب.ت. ج٦، ص ٢٩٣.

J. Strayer, The Crusades of Louis IX, in Setton, A History of the Crusades, Vol. II, Wisconsin 1989, pp. 487- 485

M. Talbi, Saint Louis: Voir Tunis et Mourir, H.T. XLVII, 1982, pp. 38- 41

F. Gabrieli, Arab Historians of the Crusades, Tr. E.J.Costello, London 1969, pp. 303- 304

مصطفى الكنانى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ٦٦٨ - ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م، ط. الإسكندرية ١٩٨٥، ص ١٣٣ - ص ٢٧١،

فايز نجيب اسكندر، المقاومة الإسلامية في مواجهة العدوان الصليبي على تونس سنة ٦٦٨ - ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص ١١ - ص ١٢، بيير

برونشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الخفصى من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م، ت. حمادى الساحلى، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج(١) ص ٨٩ - ص ٩٣، حياة الحجى،

السياسة الصليبية للملك القديس لويس التاسع، ط. الكويت، ص ١٠٦، سامية عامر، الصليبيون في شمال افريقيا حملة لويس التاسع على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٨ هـ -

٦٦٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، محمد العروسي المطوى، الحروب الصليبية في المشرق
والمغرب، ط. بيروت ١٩٨٤، ص ١٣٨، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية
العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣١٣-٣٢١، محمد صابر منصور، أثر العامل
الديني في توجيه الحركة الصليبية، ط. بنغازي ١٩٩٥م، ص ٢٣٣-٢٣٤، محمد
عبد القادر أبو فارس، دروس وتأملات في الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص
٢٦، أحمد بن عامر، الدولة الحفصية، ط. تونس ١٩٧٤م، ص ١٥٠-
ص ١٦٢.

(٣٤) عن الساحل الشامي أنظر:

محمد السيد غلاب، الساحل الفينقي و ظهوره في الجغرافية و التاريخ، ط. بيروت
١٩٦٩م، أسامه سيد على، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس
الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة عين شمس عام ١٩٩٢م،
أسامه زكى زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي-الإسلامي، ط. الإسكندرية
١٩٨١م، حسن عبد الوهاب، تاريخ قيسارية الشام في العصر الإسلامي، ط.
الإسكندرية ١٩٨٩م، عثمان عشري، مدينة صور في القرنين الثاني عشر والثالث
عشر م، رسالة ماجستير كلية الآداب-جامعة القاهرة عام ١٩٧٩م، مصطفى
العسقلاني، عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير غير
منشورة، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م، إبراهيم سعيد، يفا
ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ١٠٩٩م- ١٢٩١م/٤٩٢هـ- ٦٩٠هـ، رسالة
ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية عام ١٩٩١م، محمد محمد
فرحات، بيروت ودورها في الصراع الصليبي-الإسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة،
كلية الآداب-جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٤م،

(٣٥) عن ذلك أنظر:

R. Lopez and Raymond, Medieval Trade in the Mediterranean World, New York 1961

W.C. Heyd, Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, Amsterdam 1959

مجموعة من الباحثين، بحوث في التاريخ الإقتصادي، ت. توفيق اسكندر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ط. القاهرة ١٩٦١م، جين هيك، الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية، ت. محمود حداد، ط. أبو ظبي، ٢٠٠٨م.

(الدراسات المذكورة على جانب كبير من الأهمية، لذلك من الأهمية بمكان إعادة طباعة الكتاب المشار إليه).

محمد مؤنس عوض، الأسواق التجارية في عهد الدولة النورية (٥٤١هـ-٥٦٩هـ/ ١١٤٦م-١١٧٤م)، الدارة، العدد (٣) السنة (١٦)، ربيع الآخر- جمادى الأول- جمادى الآخرة ١٤١١هـ، ص ٧٢-٧٣، نعيم زكى فهمى، دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٧١م، موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول القرن ٨- ١١م/ ٢- ٥هـ، ت. إسماعيل العربى، ط. الجزائر ١٩٧٩م (مفكر اقتصادى بارز وكتابه من أهم المؤلفات فى مجاله).

(٣٦) عن ذلك أنظر:

Marino Sanuto, Secrets for the Crusaders to help them to recover the Holy Land, Tr. A. Stewart, P.P.T.S., Vol. VII, London 1896

النويرى السكندرى، كتاب الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوربال عطية، ٧ أجزاء، ط. حيدر أباد الدكن ١٩٦٨-١٩٧٦م.

A.S. Atiya, The Crusade in the Later Middle Ages, London 1938

N. Housely, The Later Crusades, 1274- 1580, Oxford 1992.

حسين السيد النحال، الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى على مصر وتونس من سنة ١٣٦٥م إلى ١٤٠٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة عين شمس عام ١٩٩١م (دراسة مهمة)،
(٣٧) عن ذلك بالتفصيل أنظر:

E. Christiansen, The Northern Crusades, The Baltic and the Catholic Frontier 1100- 1525, University of Minnesota 1980.

E.J. Johnson, Crusaders on the Baltic, A History of the Crusades, Setton (ed.), Vol. III, Wisconsin 1989, pp. 545- 585